المذاهب الاشتراكية — ٢

أثر الماركسية

في الادب

لطيم سترى

احب بعد ان طرقت هذه الابواب في الاشتراكية ومذاهبها مما قد يقره العقل الاجتماعي الحديث او لا يقره ، ان اعرض للبحث الاساسي المقصود به هذا المقال وهو علاقة الماركسية بالادب . فاذا استعرضنا بعض النتائج التاريخية والحركات الفاصلة في تاريخ الاجتماع وجدنا ان الفكر السياسي في اوربا كان قد تطوّر نحو اتجاهات عديدة في الفترة التي استقرت فيها الحال بعد الحروب النورية في القرن الثامن عشر . ولقد كانت المدرسة الفلسفية الدائمة الصيت إبان ذلك تلك التي قامت على فلسفة « هيجل » وتزعمها « هيجل » نفسه والتي قامت ايضاً من قبله على اكتاف « كانت » الفيلسوف الكبير ومن قبله أساً فيلسوف الطبيعة « روسو »

ان كثيراً من تعاليم ماركس بل اشتراكيته نفسها في مظهرها ، يعود الى « هيجل » . فقد كان نجاح « هيجل » كفيلسوف يعود الى تقديسه « الفكرة » التي اعتبر المادة لها اثراً . واما ماركس فقد أخذ هذه النظرية وقلبها رأساً على عقب وكان باعثه في ذلك النحو من الرأي ان الفكرة في ذاتها لا تقرن الى « تحصيل المادة » في بناء الجمعية الانسانية ، وانشأ على هذا الاساس نظريته الاجتماعية : « Materialist Conception of History » « النظرية المادية للتاريخ »

والآن دعنا نبدأ « ماركس وانجلز » ونرى مدى ما قصد به الادب والفن في مذهب « [illegible] الجدلية » « Dialectical Materialism » او الفلسفة الجدلية أو المنطقية — اذا صح هذا التعبير — . فقد اعتبر ماركس وانجلز ان وجود المجتمع الانساني في أية مملكة وفي أي جيل مما توقف على وسائل الانتاج وقد ينتهأ للمجتمع فضلاً عن ذلك « كفايات عليا » كالسياسة والقانون والدين والفلسفة والادب والفن . واستطرد في غير تحرج ان نطلق على هذه الكفايات « مظاهر انتشاط » وهي لا تجتمع كلها في المعاني الاقتصادية وانما من شأنها أن تكوّن بطرق مباشرة أو غير مباشرة « التناسق الاجتماعي » وهي تمتد الى مختلف المرافق العامة كل منها في

اتجاهه الخاص على انها ترتبط في نظام واحد لانها تمثل متضافرة كما انها ترتكز على الحياة الاقتصادية . وإذن فلا يجوز ان يقال ان الحالة الاقتصادية هي وحدها الاثر الفعال وما عداها فلا يعتد به . فقد يتاح مثلاً لطابع اي عصر من « العصور الفنية » ان تؤثر حيويته في « نظام » ذلك العصر بصفة عامة وفي نواحيه الاقتصادية بصفة خاصة . . . لم يحاول « ماركس » أو « انجلز » إقامة مذاهب اجتماعية اقتصادية لكي يستطيعا بها تحديد « المنزلة الفنية للاجتماع » فقد نشأ كلاهما في مغرب أيام « جيته » الشاعر الالماني العظيم قبل ان ينتهي العصر الذهبي للأدب الالماني . ولقد حاول « ماركس » وانجلز ان يطرقا ابواب الشعر في صدر شبابهما بل لقد اندفعا في تيار الحياة الخيالية واستطاعا أن يبلغا فيها شأواً بعيداً بل استطاعا ان يكونا ناقدين لم تقبل عقليتهما هضم ما كان يكتبهُ « أوجين سو » في مؤلفه « الناثلة المقدسة » عن طرق العلاج لبؤس الطبقات المتوسطة في المجتمع . بل لقد نددا « بفردريك فريليجرات » الذي عجر عصبة الاشتراكيين وارتدَّ وطنيًّا في عام ١٨٧٠ وكذلك أضحى ماركس باللائحة على « هنريش هيني » عند ما ظن ان هذا الاخير قد أضحى خوفاً أمام اصحاب السلطة عندما كتب « تعبيرات الزهد » في وصيته . وهذا ثابت من رسالة ماركس الى انجلز في ديسمبر ١٨٦٦ مع ان ابنة ماركس تقرر ان والدها كان يحب « هيني » بقدر ما كان يتقاضى عن إخفاقه السياسي . ولقد كان ماركس يقول ان الشعراء قد يكونون عاثرة اذا ما تركوا في سبيلهم احراراً فليس من المفروض اساساً أن نضعهم في المستوى العادي الذي نضع فيه سواد الناس

لم يكن من مميزات ماركس وانجلز الحكم على الآداب — آداب السمو والقوة — في حدود اتجاهاتها السياسية . فلقد طالما انذر ماركس روائي الاشتراكية عما ينجم من خطر عن الآداب الناضجة التي قد تؤدي تأثيرها الى اغراض غير صريحة . ولقد كتب الى « ماكيتكي » يقول لها عن احد مؤلفاتها ان شخص البطل والبطلة في قصتها قد ذابا في المبادىء التي يمثلانها ويقول لها لقد اتخذت بعض جوانب تلك القصة لابراز نظرياتك الى المجتمع على أني أرى ان الاتجاه يجب ان يصدر عن الحوار والحركة دون ان يركز في مذاهب اجتماعية او نظريات علمية وانهُ ليس على الشاعر ان يطلع على القارىء بحل ما يختتم به نهاية النزاع الذي يسرده »

ولقد أرسل « فرديناند لاسال » مأساته الشعرية « فرانزفون سيكنجن » الى ماركس وانجلز يدعوهما الى نقدها . فكتب اليه ماركس يقول « اذا تركتُ جانباً أي فكرة تعرض لي عن نقد هذا المجهود الأدبي فان قراءتي الأولى لتلك الدرة الثمينة قد أثرت فيَّ التأثير كله وطبيعي ان يثير مثل هذا الادب كل ذي وجدان » . أما انجلز فقد قال انهُ قد قرأها مثنى وثلاث ومن فرط اعجابه بها وضعها جانباً متأملاً في ما عسى ان تمليهُ عليه مواضعها من نقد . . . » ولقد

نحدثنا في هذا عند ما كانا يدفعان بنفسيهما الى المحيط الادبي لكي يطّلعا على الانتاج الفكري ويضيفا بصدده ما يعن لهما من الملاحظات . ولا عجب في عصرها بلغت « الدراما » مكانة رفيعة ولقد أمكنهما ان يبينا كيف ان مكانة « لاسال » السياسية جعلته يخطىء فهم الدور الذي لعبهُ ابطل مأساته . أما « شاكسبير » فقد كان « ماركس » يكلف بآثاره الادبية والشعرية كلفاً شديداً . فكان يحفظ شعره عن ظهر قلب . وكان مشغوفاً بكتابة مذكرات عنهُ . ولكن لم يحاول ان يخرج منها بأية فكرة عن الاشتراكية

ولقد كتب ماركس مبيناً مدى العلاقة بين الفن والنظام الاجتماعي فأشار في مقدمته لنقد « الاقتصاد السياسي » الى ان في بعض العصور التي شارف فيها الفن المثل الاعلى لم يكن لهُ ثمة اتصال بالتقدم الاجتماعي . بل لم يكن لهُ صلة بالقواعد المادية التي يقوم عليها نظام الاجتماع . ولم يكن ماركس او انجلز ممن يتخذون الفن سلاحاً . « Art as weapon » بل كانا يتأثران بالمثل الاعلى للعقلية التي تشترك في مناحٍ كثيرة للعلوم والمعرفة فلم يحبذا التخصص في احد العلوم او الفنون بل كانا يقدران شخص ذلك العالم الذي قام في أيام « النهضة الاوربية » Renaissance والذي كان موسوعي الثقافة

وهذا « ليوناردو » كان مصوراً ورياضيًّا وعالماً هندسيًّا . ودونك « بنفنوتو بلليني » فقد كان شاعراً ومؤرخاً وسياسيًّا ماهراً . كان هذان الرجلان اذن يمثلان تلك النظرية التقنية قبل ان يكون لتقسيم العمل « Division of Labour » هذا التحديد لطبيعة العقل ونموه وقبل ان يُفرض على كل انسان عمل خاص . على اننا اذا ما نظرنا الى « لينين » مثلاً وجدنا أنفسنا أمام شخصية مثقفة بحرية . وانا نجد أيضاً ان ماركس خصَّ نفسه بشيئين « التنظيم والكفاح » ولقد كان كمظم الروسيين — يعشق الموسيقى . ويتحدث عنهُ جوركي فيقول « لقد كان يستمع ألحان بيتهوفن فيؤثر سماعها كل يوم على أي شيء ويعبر عن احساسه نحوها فيقول . تلك هي الموسيقى التي ترتفع عن عواطف البشر وانني لا أذكر بفخر ما يصل اليه سمو العاطفة وجلال الالهام بل ما يصل اليه العقل عندما اني لا أستمرىء سماع الموسيقى كثيراً . فهي تؤثر في أعصابك وتجعلك اما متبرماً ساخطاً على الوجود واضياً على ان ينتهي هذا التبرم او السخط وذلك الفرح والرضاء الى الاعجاب بأولئك الذين يخرجون الى العالم درراً وفرائد ويعيشون في وادي الجحيم »

ولقد كان لينين مشغوفاً بالقصة والشعر والتمثيل وكان ذا نزعة خاصة في تذوق الفنون الرفيعة ولقد قيل مرة في أثناء حديث لهُ في احدى ندوات الشباب : ماذا تقرأون ؟ أتقرأون بوشكين ؟ ؟ — لا . لا . انهُ كان كاتباً من كتاب العامة . وانما نحن نجل « مايكوفسكي » . فيتدخل أحد الموجودين وقال : انني لا أظن ان « بوشكين » يفوقهُ كثيراً

وكان لينين يمجد « تولستوي » وكثيراً ما كان يقرأ كتابه « السلم والحرب » ولقد قال لينين عن تولستوي ان عبقريته متقطعة النظير وانهُ الفنان الذي يجب أن يتخذ مثلاً أعلى . ولقد كان لينين يكتب عنهُ مسالماً نواحي عبقريته كما كان « إنجلز » يحلل قصة الشاعر الالماني « جيته » وان كان قد عرّض بعدم مقاومته وبتصوفه . وقد كانت فكرة لينين عن جوركي كفكرة ماركس عن « جيتي » وكان يقترح في بعض رسائله ان يكون جوركي كاتباً صحافيًّا يدعو للشفية . . . على ألاّ يكون من وراء هذا تحطيم نزعته الادبية العالية . . . وجوركي هذا الذي يعنيه لينين لم يستطع احتمال استبداده ودسائس انصاره فهاجر الى أوربا تاركاً منصبه في حكومة الروسيا وقد كان فيه مديراً للفنون الجميلة

ان لينين يمثل تلك « الطوبى » التي تخيلها « ماركس » عن « الاشتراكي الكافح » فقد كان دائم الجلاد والعمل ليصل بأصحاب « الايدي الناعمة » الى مركز الحكم . ولقد كانت نظريات « كارل ماركس » انجيلاً يستنير به في حياته الاجتماعية بل كانت الحافز الذي دفع بلينين الى ان يمتشق تلك الفلسفة الجديدة في الاجتماع حتى أتيح لهُ ان يصل الى تزييق النظام (الرأسمالي) . ولقد كان لهُ ان يحذق تلك الاساليب المختلفة التي يحتاج اليها الهدم والبناء وكانت نظريتهُ ان المبادىء شيء والاعمال شيء آخر وان الفائد يجب أن « يجرب » لكي يصل الى خير الوسائل والطرق وبذلك ينتهي الى ما يطمع في الوصول اليهِ . ومما قرب للينين الطريق ما في خلقه من حزم وأستهتار وبوهيمية

فقد عرف هذا الرجل كيف يسبر غور النفس الانسانية وكيف يختار الرجال ويدرس أوساطهم وبواعثهم النفسية . واستطاع ان يسخّر المجتمع رجالاً ونساء لخدمة اغراضه التي تنحصر في ان الحكومة يجب ان تسودها الطبقات العاملة (Proleterians) وهذا الرجل الذي كان يعمل بآراء ماركس في الحكم كان يبشر بهذه الآراء ذاتها في الادب والثقافة وكان من رأيه ان يكون الادب خادماً للحياة وان يكون وسيلة ضالة من وسائل التقدم الاجتماعي . واذا كانت الحرية غاية في ذاتها فتحرير الفكر من أسر التقاليد هو « الغاية » التي يجب ان يسعى اليها الادب

أما « تروتسكي » فكان أديباً يفضل لينين . أخرج عام ١٩٢٤ دراسة مسهبة عن « الادب والثورة » عالج فيها المشاكل التي تعرض لها الكتّاب الروسيون وعن علاقاتها بالمجتمع الجديد الذي يعتبر وليداً للثورة . ولقد تعرّض في بحثه لاشياء لم يتعرض لها ماركس وأنجلز من موضوعات تختص بالنقد الادبي تحدث فيهِ عن قيمة الادب ورسالته في الحياة . لقد قدر تروتسكي منزلة « شكسبير واليونان » فليس يحق لكاتب من كان ان يثير غباراً على هذه الآثار الخالدة الحية . ولقد كان هذا رأيهُ بينما الكتّاب الروسيون كانوا يتساءلون عن منزلة الادب

والفن في عصور الانحطاط الدكتاتوري او الحرية الاشتراكية . وما هي الثقافة التي للطبقات العاملة التي عنها تنشأ الاشتراكية . وهل تكون هنالك آداب شعبية جديدة في أساليب جديدة تمثل عواطف وآراء تلك الدكتاتورية الشعبية ؟ لقد كان في روسيا جماعة أطلقوا على انفسهم « البروليكلت » رغبت تلك الجماعة في ان تحتكر الاشراف على الآداب السوفيتية . على ان لينين بدأ في معارضة المشروع بحجة ان الآداب الشعبية شيء لا يقوم على قوة السياسة او استغلال الآراء السياسية وانما يقوم على التطور الطبيعي القائم على المعرفة والعلم والتي جاهد من أجلها الشعب تحت ضغط وأساليب الاشراف والحكام . ولقد زعم تروتسكي في كتابه « الادب والثورة » ان الآداب الشعبية والثقافة الشعبية تنتهي الى نتيجة خطيرة في التكوين العقلي لعقلية الشعب اذا اشتركت ، إذ تجمع خطأ ثقافة المستقبل في الحيز الضيق لحالتنا الاجتماعية الحاضرة . وانما نفهم من « ماركسيته » اتجاه التأثيرات الخاصة بالادب القومي الذي يدعو الى الحرية والبعد عن تأثيرات اصحاب السلطة . ولقد قدر تروتسكي أولئك الكتاب والشعراء والروائيين الذين الهمتهم الحياة كثيراً من دروسها وعرفوا مدى ما ينتهي اليه تفكيرهم من بحث الازمات الاقتصادية . . . وهو مع هذا لم يكن يؤمن بالادب الشعبي الذي حل محل الادب « البرجوازي » . فلقد نما ادب الثورة الفرنسية البرجوازي في كنف العهد القديم ولكن روسيا « الامية » لم يكن لها مثل هذا الحظ من الثقافة وقد لا يحتمل أن تتمتع به في المستقبل لان الدكتاتورية الشعبية لم تكن الا فترة انتقال قصد بها إيجاد فكرة انسانية عظيمة . فالشيوعية لم يكن لها حتى اليوم ثقافة فنية ولكن كان لها ثقافة سياسية ! ! . ويقول تروتسكي — لم يكن من السهل ان تطبق مبادىء ماركس على الصور الفنية كما انه من السهل ان نقيس الصور الفنية الى مكانتها من السمو الفني بمقاييس الفن نفسه ! ! . لم يتعود الناس في روسيا ان تشرف الحكومة على الاعمال الادبية والفنية . وكذلك لم تحاول الهيئات الادبية أن تثبت وجودها عن طريق الحكومة . وانما كانت في روسيا منذ الانقلاب الثوري جماعات أدبية حاولت ان تسيطر على الادب برعاية السلطة حيناً وبدون رعايتها حيناً آخر . ولقد كان تروتسكي بمكانته الرسمية يضاد هذه الجماعات ويحتقرها . وكان نحو الادب الروسي يعتقدون أن هذا النوع من الاستقلال بعيد عن الروح الاشتراكي بل انه شر محض وان الحكومة لا الادب يفيد كثيراً من هذا الاشراف على الثقافة . وهذا السبب بعينه جاءت الصواب فقد كان الادب « الرومانتيكي » في عهد القيصر يلعب دوراً لم يتح لمثله ان يشبه في عهود التاريخ كلها . فقد كان النقد الاجتماعي والسياسي والادبي مقضياً عليه بالرقابة . وكان أن أليس النقد يومئذ لباس « الدراما » لكي يظهر في أثواب مسرحية . ولقد تهيأ المسرح يومئذ عهد جليل من عهود التمثيل الفنية في القرن الثامن

عشر بل ان هذا هو السر في قوة تلك القطع الروائية العظيمة التي أنتجها عباقرة الكتاب في تلك الفترة منذ عهد بوشكين حتى تولستوي وكان هذا الادب التمثيلي يتسم بالتعريض art of implication ولقد كان يكفي لان يفلت مؤلف «تورجنيف» من يد الرقيب لكي يطرد الرقيب نفسه بل يسجن وكان هذا الموضوع التمثيلي « A Sportsman's Sketches »

ظلت الآداب كالسياسة منذ الثورة في حالة شديدة من التناقض والارتباك . أما بعد الثورة فقد كان المفكرون أنفسهم أصحاب قوة ورأي . وكان أندماج الثقافة بالسياسة يوشك لا يخلو من اخطار وشرور . فعمد لينين وتروتسكي ولوناشارسكي وجوركي الى تحرير الادب من اي دعوة . وكان لهم أن يناهضوا هذا التصور الفكري الذي وجد في أذهان الشعب منذ عهد القيصر والذي كان يعتبر الفن سلاحاً للدعوة . وكان لينين لهذا يفيد كثيراً من دعاوة الصور المتحركة وكان اول فيلم شاهده الشعب هو « لاينشين » و « بترونكين » وهو قطعة عظيمة في التعريض والنقد الاجتماعي على نسق الروايات التمثيلية التي مثلت في عهد القيصر . على ان البلاشفة قد أختفوا بعد موت لينين ونفي تروتسكي في الهوض بهذا النوع من الآداب ولان «ستالين » لم يكن على درجة من الثقافة تعدل تلك التي لينين أو تروتسكي . ولقد خمدت حركة النقد المسرحي نفسه لان ذلك الشعب الامي لم يكن ليصل الى تلك الذروة من التفكير

كان جوركي مدافعاً عن حرية القلم بل كان قد أرصد نفسه للدفاع عن حرية الفكر فاليه يرجع هدم «الراب » R. A. P. P. آخر مجهود في الاحتكار الثقافي . ولقد فتح الكتائب والمعاهد السوفيتية لانطاب الكتاب الاجانب وكذلك لكتاب الكلاسيكيين وان كان هذا التصرف قد ادى الى تدعيم المظهر الديمقراطي وهيأ مجالاً واسعاً للاطلاع على الآداب والعلوم والفلسفات . وهذه الفترة تفضل كثيراً عهد « ستالين » حيث لا سبيل الى معارضة سياسية او نقد اجتماعي . وفي روسيا نجد السياسة تقرر المصير الاجتماعي ؟ . . واذن ما هو على وجه التحديد موقف المفكرين الروسيين . اولئك الذين يهتمون بفلسفة التاريخ او فلسفة الفنون والذين نضعهم في الصدارة اذا ما ذكر ادباء الاجتماع في العالم ! ! ان الموضوعات التي يعرض لها الادب التمثيلي اليوم في الروسيا لا تمت بصلة الى «الميلودرام» ذلك التمثيل القوي الذي يصدر عن العاطفة والمعاني الخلقية . وانما نجد اليوم في الروسيا قصصاً تمثيلية هزيلة تتجه نحو الدعاوة الى اسلوب الحكم الذي يقوم به «ستالين»

ان موسيقى «سكوستاكوفتش» التي لم يتذوقها الجمهور كانت دليلاً على اهمال الديمقراطية ومبادئها . وطبيعي ان موت «جوركي » وسجن « بوكارين» و « وادك» ازال « الفرملة » التي كانت تحول دون التدهور الفني وبعبارة اخرى التدهور السياسي . ان تمويه الحقائق التاريخية

في عهود ازمات ستالين وتروتسكي قد ادت الى نتائج وهمية حتى ان الحكومة لا تتوانى في ان تضع للناس برنامجاً جديداً يمثل تاريخهم القديم ويصف اخلاقهم . ومثل هذا التصرف لا ينتهي الا بأفساد الحياة العقلية التي تقوم عليها مظاهر الاجتماع وتقديره . على ان هذا كله يقابله العالم اجمع في شيء من الهدوء والابتسام . وعلى هذا النحو فقد دافعت « الماركسية » بنفسها في مأزق حرج او كما يقولون قد اسقطت نفسها في بئر . ونحن قد يخيل الينا ان « السوفيتيين » لم يبق لهم من ماركسيتهم حتى « الثقافة السياسية » في أعنف صورها . وهكذا فقد بعدنا عن تأثير الحرية طالما قد فقدنا إلمامها . واذن الى اي غاية تنتهي قضية « الماركسية والادب » . انا يجب ان نتذرع في هذا البحث بالمنطق السديد وبحكم العقل واذن فلا ينبغي ان نغفل تلك الآيات الادبية الخالدة التي اخرجها آباء الماركسية . انا قد بعد قليلاً عن « تروتسكي » فيما قد قررناه من أحكام ونصرّح بأن « الماركسية » وحدها لا يمكن ان تدلنا على الطيب أو الرديء من الانتاج الفني . فقد يكون هنالك « ماركسيٌّ » ممتاز ولكنهُ قد فقد ملكة التخيل او الذوق واذن فهو لا يستطيع ان يفرق بين الغث والسمين في الانتاج الادبي وهذه نتيجة « ايديولوجية » خاصة بتكوين ثقافته

ان دراسة الادب وعلاقته بالاجتماع قديمة جداً قدم « هردر » وفيكو . ولقد سبق « لكولردج » ان تحدث عن تلك العلاقة التي تقوم بين الادب والمجتمع . فقد تبين « قوة » السلطة اليونانية في عهودها التاريخية في ثنايا التعبيرات الادبية اليونانية . كما قد تستطيع ان تلمس « الفردية » الانجليزية في محاورات « شوسر » . على ان « البرجوازي » الاكبر في هذا السبيل من النقد هو (تين)

ان الكاتب اذا شاء ان يطبق المبادىء والنظريات الماركسية ولا سيّما نظرية ماركس عن « الفلسفة الجدلية » ينبغي ان يدرس الادب الانساني درساً عميقاً . فالشيء الذي يجب ان يتنبه لهُ الكاتبون يتعلق بالمعاني التي ترمي اليها حقائق الادب . ولعل هذه الحقائق لن يصل اليها العقل في يسر وسهولة فقد لا يستطيع الاديب نفسه اداء هذه المعاني في شيء من التبسط . إما لغموضها وإما لابهامها وإما لرمزيتها . وقد يعاني القارىء شيئاً غير قليل من العسر اذا ما انتهى الى حدّ يخيل اليه انهُ الحقيقة او المعنى الذي اراده الكاتب . وقد يكتفي بما يعثر عليه من آراء اشتراكية تهذيبية . وقد يخصي اذا ما عرف معنى من المعاني يختلف عن تلك التي يرمي اليها الكاتب . فبعض المعاني والالفاظ يصح ان يتخذ فيها اكثر من تفسير واحد او معنى واحد . ولقد كتب (فريدريك انجلز) الى « مارجريت هاركنيس » عن هذا فقال لها . (كما استطاع الكاتب ان يخفي آراءه او خواطره السياسية كلما كانت اقرب الى الوضع الفني . فبذلك بأرائه الرجعية يفضل زولا كثيراً وغماً عن آرائه الاخيرة الديموقراطية) فبذلك كان موضع اعجاب ماركس وانجلز . ولقد كان يزري لهدم الطبقة النبيلة في المجتمع وكأن نقده لم يكن مرّاً واستهزاءه لم يكن

عميقاً عند ما كان يصور الشخصيات الارستوقراطية المعاصرة . تلك الشخصيات التي كان يحبوها بعطفه . بل التي كان اعجابه بها سافراً . وهؤلاء اغلبهم كانوا من معارضيه السياسيين الذين استطاعوا ان يمثلوا مطالب الطبقات الشعبية في الفترة بين عامي ١٨٣٠ — ١٨٣٦ . وعلى هذا فليس من الحتم انهُ ينبغي في الآية الفنية تحديد الاشخاص في معرض النزاع او غيره من شؤون الاجتماع حتى يتهيأ إعداد الصورة الكاملة عن المجتمع . وهذا ما قد يعرض لهُ الادب كما قد تعرض لهُ الموسيقى من وجهة الفن . على انهُ من المفروض تحديد العواطف والانفعالات التي تدفعنا الى الحركات والاعمال ومن هذا نرى ان الذكاء الحقيقي واستشفاف حجب الغيب يدلان على حيوية التفكير في النفس وهذا ما يستطيع الكاتب تبيانه في ادبه اذا كان موهوباً واذا عرف ان يصل الى ما تهيؤهُ لهُ افكاره من صور وما يمليه عليهِ عقله من آراء علمية متزنة

وليست الماركسية في النقد تعني الهدم وانما هي تعني البناء . فناقد (اليسار) الذي لا يتزود بالكفاية الادبية قد يسند الى وزن المؤلفات الادبية موازين ليست مضبوطة . وهذا مصدره قلة التحصيل والاطلاع على مقاييس القيمات الادبية والخلقية . فالناقد ينبغي ان يعرض للادب باعتباره (وسيلة) لا باعتباره (غاية) فالمثل الاعلى للادب الماركسي مثلاً هو (فائدته) التي تعود على هذا المجتمع الكبير . كأن يقرر الوضع الصحيح للفرد والمجموع وحقوق المرأة ورسالة العلم في الحياة وماهية الفلسفة وتعديل النظم الاقتصادية وتعريف الحقوق والواجبات . والالتزامات الخلقية المفروضة في الكتّاب والادباء . واليوم الذي تصل فيهِ الماركسية الى هذا حد الفترة التي « تتحجر » فيها وتصير مذهباً فلسفيًّا كالمذاهب المعروفة . أما مميزات المثل الاعلى للادب الماركسي فهي كما ذكرها (جراشل هكس) في مقال لهُ عن الأزمات في النقد ما يأتي : —

أولاً : ان تكون وظيفة هذا الادب ان يفهم القارئ من طبقة العمال دوره الذي يقوم بهِ في الكفاح الاجتماعي . ثانياً : ان يظهر ذلك الادب بطريقة مباشرة او غير مباشرة نتائج كفاح الطبقات

ثالثاً : اشعار القارىء ان الكاتب يساهم في هذا الضرب من الحياة الاجتماعية التي يعرض اليها

رابعاً : ان يكون الكاتب نفسه في مقدمة طبقة العمال عقلاً وروحاً

ولقد عقد في لندن عام ١٩٣٤ مؤتمر الكتّاب الروسيين وتبنى فيهِ مذهب (الاشتراكية الواقعية) في الادب ولم يكن هذا غير محاولة لتقرير بعض الموضوعات الادبية عن الحياة . أما « الفرضيون » الذين يتصورون الى حدّ ما أدب المستقبل فلهم ان « يحكموا على نسبة ما وصل اليهِ الانتاج الادبي في عصور الامبراطورية » وبين فقر الادب في هذه الايام . واذا كان في عرفهم انهُ لم يظهر حتى الآن أديب يسمو الى تقدمهم او يكون مستحقًّا لهُ فهم من أجل هذا يؤملون كثيراً في المستقبل ويرون انهم مقبلون على عصر « ستاندي » او كفاحي قد يوجد فيهِ طائفة من « المثاليين » .

«والانسانيون» في عرفهم قد وجدوا خير معين في أدب سوفوكليس وشاكسبير « والاشتراكيون الواقعيون » Realist كان لهم تولستوي وأضرابه. على انهُ من الثابت لو ان تولستوي قد عاش في حيز ما يفرضهُ او يحدده هؤلاء لما كان قد كتب فصلاً واحداً وكذلك لو ان (بايت) و(مور) قد أمكنهما ان يقيما امام (شكسبير) فروضها لما كان قد خط حرفاً من قصيدة

لقد بدأ الادب الروسي منذ أول هذا العصر ان يسير في وجهتين مختلفتين الاولى وجهة الادب الواقعي والثانية وجهة الادب البرجوازي الكثير (الرومانتيكيات) وقد انتصر الاول بانتصار الماركسية وتهدم الثاني لبعده عن الحياة وقربهِ من الخيال والصنعة والارستقراطية ولقد ظل هذا الاخير منذ نهاية القرن الثامن عشر يسعى للدخول في الحياة ويحاول لكي يجد لهُ تأثيراً فيها فأخفق بعد ما يقرب من المائة سنة وبها الادب «البروليتاري» التقريري قد عرف كيف ينفذ الى صميم الحياة بعد النصف الاخير من القرن التاسع عشر وهو قد بلغ أوج مجده في السنوات التي اعقبت الحرب الكبرى

وقد يقول قائل وما ادعى الاوقات ملائمة للانتاج الفني ؟ قد يكون في عصري الثورة وما قبل الثورة انتاج ادبي فيهِ حيوية وتجدد . وهذا ما يخالف وقت الثورة نفسه فلا شك فيهِ ان الصور الادبية العالية يحتاج في صنعها الى فراغ وهدوء والكاتب في غضون الثورة محروم منها. فأدب الثورة الفرنسية احتوته خطب (دانتون) ومذكرات (كاميل ديمولان) وقصائد (اندريه شنيه) السياسية القليلة التي كتبت قبل ان تنزع رأسه (الجيلوتين). أما أدب الثورة الروسية فقد احتوته كتابات لينين وتروتسكي واشعار الكسندر بلوك (الاتا عشر)

أما ما قبل الثورة فقد كانت العوامل كلها تدعو لاختمار الافكار . ففي القرن الثامن عشر في فرنسا والقرن التاسع عشر في روسيا لم تكن قوة الادب فيهما مستمدة من الثورة المتوقعة ولكن كانت هنالك ظواهر ملموسة للأدب الراقي الذي يسير بخطى واسعة نحو الكمال وقد كان للمعاهد العلمية الكثيرة وجهابذة الفكر والادب فضل في هذا الصدد لا ينكر واذا عرضنا للادب (البروليتاري) الذي لازم الثورة الاشتراكية فقد نقول ان الكتاب كانوا يكتبون عن (الواقع) الذي يحيا فيهِ العامل وكانوا كذلك يكتبون عن (البرجوازيه) في أسلوب تميز بالاختصار حتى لكأنهم يطوقون الادب بهذا الغلاف (الرمزي). لقد كان البؤس والفقر والمظالم السياسية موضوعات تولستوي وديستويفسكي وجوركي والقصص التي كتبها هؤلاء جميعاً تتجه نحو النقد الموضوعي على ان (القصد) عندهم لم يكن واضحاً وضوح (الفن) وتلك ناحية في الاسلوب قد تطبع أدبهم بطابعهِ الخاص. على اننا لا ننسى ان جوركي كتب حقاً عن موضوعات هي كالموضوعات التي عرض لها تولستوي وديستويفسكي واضرابهم وانما كان إيضاح الغاية والقصد ما يجب ان يصل اليهِ دائماً . ولعل من بعث الاسباب للتجديد في أدبهِ انهُ كثيراً ما عدا الوسط الذي يعيش فيهِ ولذلك فقد كتب عن الاقتصاد وحرية المرأة وعدم المبالاة بالعرف الاجتماعي